١ — حَديثُ الْجَدَّة



جَلَسَتْ راوِيَةُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ بينَ أَوْلادِها وحَفَدَتِها ، أَعْنِى : أَوْلادَ أَوْلادِها . وكانَتِ الْجَدَّةُ — حِينَئِذٍ — فى الثَّمانِينَ مِنْ عُمُرِها ، وقَدْ تَعَوَّدَ الْحَفَدَةُ — مِنْ بَنِينَ وبَناتٍ — أَنْ يَجْتَمِعُوا حَوْلَها قُبَيْلَ النَّوْمِ ، لِيَسْتَمِعُوا مِنْها طَرائِفَ مِنَ الْقَصَصِ وبَدائِعَ مِنَ الْأَخْبارِ والْأَسْمارِ .

وكانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ مِنْ لَيالِى الشِّتاءِ الْبارِدَةِ . وما كادُوا يَسْأَلُونَها أَنْ تُحَدِّثَهُمْ بِعَجِيبَةٍ مِنْ أَقاصِيصِها الْمُبْدَعَةِ الَّتِى أَلِفُوا سَماعَها مِنْها ، حَتَّى أَسْرَعَتْ إِلَى تَلْبِيَةِ رَجائِهِمْ ، وأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ ، تَرْوِى لَهُمُ الْقِصَّةَ التَّالِيَةَ ، بَعْدَ أَنْ جَلَسُوا حَوْلَها مُلْتَفِّينَ ، وأَرْهَفُوا لَها آذانَهُمْ مُنْصِتِينَ . قالَتِ الْجَدَّةُ :

« ما أَعْجَبَ سَيْرَ الزَّمَنِ ، وما أَسْرَعَ كَرَّ الْأَيَّامِ ، ومَرَّ الْأَعْوامِ . لَقَدْ سَمِعْتُ هٰذِهِ الْقِصَّةَ الْمُعْجِبَةَ مُنْذُ سَبْعِينَ عاماً ، ولا أَزالُ — اللَّيْلَةَ — أَذْكُرُها

كأنّما سَمِعْتُها مِنْ جَدَّتِى البارِحَةَ . وما بَرِحَتْ حَوادِثُها تَتَمَثَّلُ فى خاطِرِى ، وَصَوْتُ جَدَّتِى الْعَذْبُ الْحَنُونُ يَرِنُّ فى أُذُنِى . لَقَدْ كُنْتُ فى الْعاشِرَةِ مِنْ عُمْرِى حِينَئِذٍ ، أَىْ : فى مِثْلِ سِنِّكَ يا « نَجِيبُ » . وكُنْتُ أَصْغَرَ مِنْ إِخْوَتِى ، كَما أَنْتَ - يا « نَجِيبُ » - أَصْغَرُ مِنْ إِخْوَتِكَ . وكانَتِ الأَرْضُ مُغَطَّاةً بِما تَساقَطَ مِنَ الثَّلْجِ فى الصَّباحِ . فَلَمَّا جاءَ اللَّيْلُ ، شَهِدْنا لَيْلَةً — عَلَى شِدَّةِ بَرْدِها — صافِيَةَ السَّماءِ ، لامِعَةَ النُّجُومِ . وأَخَذَتِ الأُسْرَةُ تَحْتَفِى بِالعِيدِ كَما نَحْتَفِى بِهِ الآنَ .

٢ — أَسْعَدُ النَّاسِ

وكانَتْ جَدَّتِى قَدْ وَعَدَتْنا أَنْ تَقُصَّ عَلَيْنا قِصَّةَ : « السَّعِيدِ حَسَنٍ » مَتَى حَلَّتْ لَيْلَةُ الْعِيدِ . فَلَمَّا ذَكَرْناها وَعْدَها قالَتْ :

« لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ « السَّعِيدَ حَسَناً » كانَ سُلْطاناً مِنَ السَّلاطِينِ ، أَوْ أَمِيراً مِنَ الأُمَراءِ . ولَكُمُ الْعُذْرُ ، لِأَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يَحْسَبُونَ أَنَّ السَّعادَةَ لاتُوجَدُ إِلَّا حَيْثُ الْغِنَى والْجاهُ . وسَتَتَبَيَّنُونَ بَعْدَ سَماعِ قِصَّتِهِ أَنَّ مَنْ يَظُنُّونَ مِثْلَ هٰذا الظَّنِّ بَعِيدُونَ عَنِ الصَّوابِ ، بُعْدَ الأَرْضِ عَنِ السَّماءِ . لَمْ يَكُنِ « السَّعِيدُ حَسَنٌ » سُلْطاناً ولا أَمِيراً . كَلَّا . لَمْ يَكُنْ واحِداً مِنْ هؤُلاءِ . بَلْ لَعَلَّهُ كانَ أَفْقَرَ الْفُقَراءِ فى عَصْرِهِ . ولٰكِنَّهُ عاشَ مَعَ هٰذا أَسْعَدَ النَّاسِ جَمِيعاً . ولَقَدْ صَدَقَ « السَّعِيدُ حَسَنٌ » حِينَ كانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ دائماً : « إِذا عَجَزَ الإِنْسانُ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النَّاسِ ، فَلَنْ يَعْجِزَ عَنْ أَنْ يَكُونَ أَشْرَفَ النَّاسِ . ولَنْ يُكَلِّفَهُ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَتَحَلَّى بِالشَّجاعَةِ والصِّدْقِ وكَرَمِ النَّفْسِ .

٣ — عِيدُ الْفَقِيرِ

ولَعَلَّكُمْ تَدْهَشُونَ إذا قُلْتُ لَكُمْ : إنَّ « السَّعِيدَ حَسَناً » كانَ فَلَّاحاً فَقِيراً ، يَعِيشُ فى كُوخٍ صَغِيرٍ ، تُحِيطُ بِهِ بَعْضُ الْحَشائِشِ ، عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ غابَةٍ كَثِيفَةٍ مَمْلُوءَةٍ بالْأَشْجارِ . وقَدْ أَقْعَدَهُ الْمَرَضُ عَنِ الْعَمَلِ شَهْرَيْنِ . ثُمَّ أَقبلَ الْعِيدُ عَلَى هٰذِهِ الْأُسْرَةِ ولَيْسَ فى الْكُوخِ أَكْثَرُ مِنَ الْخُبْزِ الْيابِسِ : الْخُبْزِ الْيابِسِ وَحْدَهُ . أَمّا الْحَلْوَى والْفَطائِرُ واللَّحْمُ واللَّبَنُ والْقِشْدَةُ وما إلَى هٰذا مِنْ أَلْوانِ الطَّعامِ ، فَقَدْ بَعُدَ عَهْدُ الْأُسْرَةِ بِهِ ، فَنَسِيَتْهُ . عَلَى حِينَ كانَ الْأَغْنِياءُ يَحْتَفِلُونَ بِالْعِيدِ، ومَوائِدُهُمْ تَزْخَرُ بِما لَذَّ وطابَ ، مِنَ الْأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ ، والْأَشْرِبَةِ السّائِغَةِ . عَلَى أَنَّ الْبُؤْسَ والْفاقَةَ لَمْ يَنالا مِنْ نُفُوسِ هٰذِهِ الْأُسْرَةِ الطَّيِّبَةِ الْخَيِّرَةِ مَنالًا . ولَبِثَ رَبُّ الْأُسْرَةِ وزَوْجُهُ الْمَرِيضانِ صابِرَيْنِ ، لَمْ يَفْقِدا



الثقةَ باللهِ والإيمانَ بهِ . ولَمْ ييأسا مِنْ رَحْمتِهِ . ولَمْ تعرِفِ الشَّكْوَى إلَى قلبَيْهما سبيلًا . وكانا يعُولانِ أطفالًا أربعةً ، برّحَ بِهِمُ الْجوعُ ، واشتدَّ بِهِمُ الضَّعْفُ والْهُزالُ ، فأَصْبحُوا لا يكادُونَ يستَطِيعُونَ الْحرَكةَ . فجَلَسُوا مُتلاصِقِينَ ، بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ ، عَلَى صُنْدُوقٍ قَدِيمٍ مِنَ الْخشبِ الْبالِي ، إلَى جوارِ قِطْعَةٍ خَشِنَةٍ مِنَ الْحصيرِ ، اتّخَذُوها مقْعداً لِجُلوسِهِمْ نَهاراً ، وفِراشاً لنَوْمِهِمْ ليْلًا . ولَمْ تتمالَكِ امْرأةُ الْحطّابِ — فى ليْلةِ الْعِيدِ — أنْ تحْبِسَ فى عيْنَيْها دمْعتَيْنِ ، بَعْدَ أنْ أطالَتْ تفكُّرَها فِيما وَصَلَتْ إليْهِ حالُها وحالُ أوْلادِها مِنَ الْعوزِ والفاقةِ . ولٰكِنَّها سُرْعانَ مانَدِمَتْ عَلَى اسْتِسْلامِها لِلضَّعْفِ . وخَشِيَتْ أنْ يفْطُنَ إليْها أطْفالُها الصِّغارُ ، فتكُونَ لهُمْ مثَلًا سيِّئاً .

* * *

فكَفْكَفَتْ دمْعتَيْها فى الحالِ . والْتفتَتْ إليْهِمْ قائِلةً : « هلُمُّوا — أيُّها الأطْفالُ الصَّابِرُونَ — نبْتهِلْ إلَى اللهِ داعِينَ أنْ يكْشِفَ هٰذا الْبلاءَ ، ويُفرِّجَ عنّا هٰذِهِ الضّائِقةَ ، فإنَّهُ لا يرُدُّ دعْوةَ الدّاعِى إذا دَعاهُ » . وجاءَ الْمساءُ مُظْلِماً بارِداً ، وبدَأتِ السَّهْرَةُ الْعابِسَةُ لِهٰذِهِ الأُسْرَةِ التّاعِسَةِ ، وقَدْ كانَ خيْراً لهُمْ لوْ أنَّهُمْ رقَدُوا قبْلَ أنْ يُدْرِكَهُمُ اللّيْلُ ، فإنَّهُمْ — إذْ ينامُونَ — ينْسوْنَ آلامَهُمْ . ولٰكِنَّ هٰؤُلاءِ الْفُقَراءَ الأخْيارَ أبَوْا إلّا أنْ يسْتقْبِلُوا الْعِيدَ ، ويقْطَعُوا ليْلَهُ بِالْحدِيثِ والسَّهَرِ ، وقالَ لهُمْ والِدُهُمْ بَعْدَ أنْ عادَ إلَى بيْتِهِ :

« أعادَ اللهُ عليْكُمُ الْعِيدَ بِالْخيْرِ والْبرَكاتِ » .

فردُّوا عليْهِ تحِيّتَهُ ، مُبْتهِجِينَ بِعوْدَتِهِ فرِحِينَ .

٤ — جِذْعُ الشَّجَرَةِ

ثُمَّ وَضَعَ الْأَبُ خَلْفَ بابِ الْكُوخِ مِلْطَسَهُ وفَأْسَهُ ، وقالَ : « إذا كانَتْ تَنْقُصُكُمْ مُتَعُ الْعِيدِ وحَلْواؤُهُ ، فلا يَزالُ أَمامَكُمْ مَجالٌ لِلْبَهْجَةِ والسُّرُورِ بِحَياةِ والِدَيْكُمْ ، وبِما مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ صِحَّةٍ وعافِيَةٍ وهُدوءِ بالٍ . ولَيْسَ يَنْقُصُنا فى هٰذِهِ اللَّيْلَةِ الْبارِدَةِ إِلَّا الدِّفْءُ وَحْدَهُ . وقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا بِهِ ، وهَيَّأَ لَنا أَسْبابَهُ . فَلْنُحْضِرْ جِذْعَ شَجَرَةِ « بَلُّوطِ الْمَلِكِ » الْمُجاوِرَةِ لِبَيْتِنا . » فقالَ أَوْلادُهُ : « أَتَعْنِي شَجَرَةَ الْكَسْتَنا الْجافَّةَ الَّتِي نُسَمِّيها : « شاهْ بَلُّوط » ؟ » فَقالَ لَهُمْ باسِماً : « لَسْتُ أَعْنِي غَيْرَها . وقَدْ بَقِيَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ سَنَواتٍ دُونَ أَنْ نُفَكِّرَ فى الِانْتِفاعِ بِها . وقَدْ ذَكَرْتُها — الْيَوْمَ — فَقَطَعْتُ جِذْعَها لِأُهَيِّئَ لَكُمُ الدِّفْءَ . ولَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ صَلابَتِهِ وثِقَلِهِ ، وأَنا أُعْمِلُ فِيهِ فَأْسِي ومِلْطَسِي . فَلْنَحْمَدِ اللهَ عَلَى ما يَسَّرَ لَنا مِنْ أَسْبابِ النِّعْمَةِ والسُّرُورِ . ونَحْنُ عَلَى فَقْرِنا قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَنا اللَّيْلَةَ مِنْ وَسائِلِ الدِّفْءِ مِثْلُ ما عِنْدَ أَمِيرِ هٰذا الْبَلَدِ فى قَصْرِهِ . فَاذْهَبُوا يا أَوْلادِي وجِيئُوا بِالْجِذْعِ . وفى إِمْكانِكُمْ — أَنْتُمُ الْأَرْبَعَةُ — أَنْ تَحْمِلُوهُ مَعاً »

* * *

فَوَقَفَ الْأَوْلادُ ، وخَرَجُوا — هُمْ وأُمُّهُمْ — مِنَ الْكُوخِ ، ثُمَّ عادُوا يَحْمِلُونَ الْجِذْعَ الْكَبِيرَ . وكانَ مِنَ الثِّقَلِ كَما وَصَفَ أَبُوهُمْ ، إِذْ تَعِبَ الْأَبْناءُ فى حَمْلِهِ ، حَتَّى بَلَغُوا الْكُوخَ .

٥ — فى الْمَوْقِدِ

وما كادُوا يَضَعُونَ الْجِذْعَ حَتَّى قالُوا لِأَبِيهِمْ : « يُخَيَّلُ إلَيْنا أَنَّ فى هٰذا الْجِذْعِ شَيْئاً خَفِيًّا ، لا نَدْرِى حَقِيقَتَهُ . ولَئِنْ صَحَّ ظَنُّنا لَيَكُونَنَّ هٰذا الْجِذْعُ مَسْحُوراً . فقالَ لَهُمْ والِدُهُمْ : « إنَّكُمْ تَحْلُمُونَ — ياأَوْلادِى — لِأَنَّكُمْ لَمْ تَتَعَوَّدُوا أَنْ تَسْهَرُوا إلَى مِثْلِ هٰذا الْوَقْتِ الْمُتَأَخِّرِ مِنَ اللَّيْلِ . فَلْنَضَعْ هٰذا الْجِذْعَ فى النَّارِ . » ثُمَّ وَضَعَ الْوالِدُ — بِمُعاوَنَةِ ابْنِهِ الْبِكْرِ — هٰذا الْجِذْعَ الثَّقِيلَ ، فى الْمَوْقِدِ ، بَعْدَ أَنْ تَكَبَّدَ عَناءً عَظِيماً فى حَمْلِهِ . وأَدْنَى مِنْهُ حُزَمَ الْأَخْشابِ الَّتِى كانَتْ مُوقَدَةً قَبْلُ . وجَلَسُوا جَمِيعُهُمْ مُفَكِّرِينَ — فى صَمْتٍ — عَلَى مَقاعِدِ الْخَشَبِ ، حَوْلَ الْمَوْقِدِ ، لِيَرَوْا جِذْعَ الشَّجَرَةِ وهُوَ يَحْتَرِقُ .

٦ — سُكَّانُ الْجِذْعِ



وكانَ هٰذا الْجِذْعُ — كَما قالَ أَبُوهُمْ — أَصْلَ شَجَرَةٍ مِنَ « الْكَسْتَنا » . وهُوَ جِذْعٌ مُعَقَّدٌ ، أَيْبَسَتْهُ حَرارَةُ الشَّمْسِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ والسِّنِينَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَشَقَّقَ ،

وكَثُرَتْ فِيهِ الثُّقوبُ . فَأَلقَوْا بِهِ فى الْمَوْقِدِ . وراحَتْ تَسْرى فِيهِ النّارُ بَطِيئَةً ، وراحَ رَبُّ الأُسْرَةِ يَقُصُّ عَلَى أَبنائِهِ مِمَّا وَعاهُ فى طُفُولَتِهِ مِنْ عَجائِبِ الْقَصَصِ ، حَتَّى إذا سَرَتِ النّارُ فى الْجِذْعِ كُلِّهِ ، ورَأَوْا دُخانَهُ يَتَصاعَدُ مِنَ الْمَوْقِدِ — حَلَقاتٍ حَلَقاتٍ — بَرَزَتْ فَجْأَةً مِنْ أَحَدِ ثُقُوبِ الْجِذْعِ نَحْلَةٌ خائِفَةٌ مُرْتاعَةٌ ، وهِىَ تَطِنُّ وتَهُزُّ جَناحَيْها الشَّفّافَتَيْنِ ، وقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيْها الرُّعْبُ والْفَزَعُ ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ مِنْهُ نَحْلَةٌ ثانِيَةٌ ، فَثالِثَةٌ ، فَرابِعَةٌ ، وهٰكَذا ، حَتَّى تَأَلَّفَ مِنْها ثَوْلٌ (جَماعَةٌ مِنَ النَّحْلِ) ، وظَلَّ يَطِيرُ فى أَرْجاءِ الْكُوخِ حائِراً لا يَعْرِفُ لَهُ وِجْهَةً يَقْصِدُ إلَيْها .

٧ — حَدِيثُ النَّحْلَةِ



واسْتَقَرَّتْ مَلِكَةُ النَّحْلِ عَلَى قِمَّةِ كُومَةٍ مِنَ الْحَطَبِ ، وجَعَلَتْ تَشْحَذُ إبْرَتَها بِرِجْلَيْها ، وتَقُولُ لِلأُسْرَةِ فى غَضَبٍ شَدِيدٍ : « يالَكُمْ مِنْ قُساةِ الْقُلُوبِ ! لِماذا تَحْرِقُونَ مَسْكَنَنا ؟ لَقَدِ اخْتَرْتُ — أنا وإخْوانى — ثَقْبَ هٰذا الْجِذْعِ ، لِنَرْقُدَ فِيهِ بِهُدُوءٍ ، طُولَ الشِّتاءِ ، حَتَّى يَجِىءَ الرَّبِيعُ ، فَنَسْتَأْنِفَ فِيهِ أَعْمالَنا النّافِعَةَ . وقَدْ كُنْتُمْ سَبَباً فى إزْعاجِنا وتَشْتِيتِنا مِنْ مَسْكَنِنا الآمِنِ . فَما أَدْرِى كَيْفَ يَكُونُ مَآلُنا ؟ وكَيْفَ نَحْتَمِلُ بَرْدَ الشِّتاءِ الَّذِى تَضْعُفُ فِيهِ أَجْسادُنا ، ولا تَسْتَطِيعُ لَهُ احْتِمالاً ؟ » فَبادَرَتِ الأُمُّ قائِلَةً : « لا تَحْزَنى

أَيَّتُها النَّحلةُ الطَّيِّبَةُ ولا تَتأَلَّمِى. فما نُرِيدُ بِأَحَدٍ سُوءًا. وقَدْ كُنَّا نَجْهَلُ أَنَّكُنَّ ساكِناتٌ فى هٰذا الجِذْعِ. ولَوْ عَرَفْنا هٰذا لَما أَزْعَجْنا واحِدَةً مِنْكُنَّ، كُنَّ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكُنَّ لَنْ تَبْقَيْنَ طَوِيلًا بِلا مَأْوًى، ولَنْ تَتَعَرَّضْنَ لِبَرْدِ الشِّتاءِ القارِسِ وزَمْهَرِيرِهِ. ها كُنَّ بَيْتَنا، فأَقِمْنَ فيهِ عَلَى الرُّحْبِ والسَّعَةِ آمِناتٍ مُطْمَئِنّاتٍ. واخْتَرْنَ فِيهِ مَكانًا حارًّا مُوافِقًا لِسُكْناكُنَّ. وإِنِّى لَيُسْعِدُنِى أَنْ تُقِمْنَ عِنْدَنا فلا تُفارِقْنَنا أَبَدًا. ولَنْ تَرَيْنَ إِلَّا ما يَسُرُّكُنَّ. ولَنْ يُكَدِّرَ أَحَدٌ عَلَيْكُنَّ صَفاءَ الرّاحَةِ والنَّوْمِ. ولَنْ يَمَسَّ أَحَدٌ خَلِيَّتَكُنَّ، ولَنْ يَشْتارَ (لَنْ يَجْنِيَ) شَيْئًا مِمَّا جَمَعْتُنَّ مِنَ الشَّهْدِ - يا أَمِيرَةَ النَّحْلِ - وهاكِ ثُغْرَةً أَمامَكِ فى حائِطِ الكُوخِ، عَلَى يَمِينِ المَوْقِدِ. فَهَلْ تَرَيْنَها تُوافِقُكِ، أَنْتِ ورَفِيقاتُكِ؟»

فَقالَتْ لَها أَمِيرَةُ النَّحْلِ: «شُكْرًا لَكِ أَيَّتُها المَرْأَةُ الطَّيِّبَةُ. إِنَّكُنَّ — عَلَى ما أَرَى — أَهْلٌ لِلتَّكْرِيمِ. وإِنِّى لَأَقْبَلُ هٰذِهِ الضِّيافَةَ بِسُرُورٍ وابْتِهاجٍ. وسَنَعِيشُ جَمِيعًا تَحْتَ سَماءِ هٰذا البَيْتِ الوادِعِ الجَمِيلِ. فَلَنْ تَفُوتَنا السَّعادَةُ فِيهِ.»

ثُمَّ طارَتْ مَلِكَةُ النَّحْلِ إِلَى الثُّغْرَةِ القَرِيبَةِ مِنَ المَوْقِدِ، ثُمَّ تَبِعَها الثَّوْلُ، أَعْنِي: جَماعَةَ النَّحْلِ. واخْتَفَيْنَ فى الخَلِيَّةِ جَمِيعًا.

٨ — حَدِيثُ الطّائِرِ

والْتَهَبَ الجِذْعُ كُلُّهُ، فانْبَعَثَتْ مِنْهُ — فَجْأَةً — صَرْخَةُ أَلَمٍ، مِنْ طائِرٍ صَغِيرٍ خَرَجَ مِنْ ثَقْبٍ آخَرَ، وظَلَّ يُرَفْرِفُ بِجَناحَيْهِ الأَزْرَقَيْنِ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ عَلَى مَسْنَدِ كُرْسِيٍّ، وقالَ لِلحَطّابِ وزَوْجِهِ، بِصَوْتٍ عالٍ، فِيهِ رَنَّةُ الغَضَبِ: «شَدَّ ما قَسَوْتُما عَلَيَّ، إِذْ تُخَرِّبانِ بَيْتِي وتُحَرِّقانِهِ. لَقَدْ كُنْتُ راقِدًا

فى ثَقْبٍ مِنْ هٰذا الْجِذْعِ مُطْمَئِنًّا ، رَيْثَما يَنْتَهِى فَصْلُ الْبَرْدِ ، وتَهُبُّ نَسَماتُ الرَّبيعِ اللَّطيفَةُ ، وتَسْتَيْقِظُ الْأَزْهارُ ، فَأَبَيْتُما إلَّا أَنْ تُزْعِجانِى وتُعَرِّضانِى لِلْهَلاكِ بَيْنَ الْعَواصِفِ وتَحْتَ الثُّلوجِ . » فقالَ الْحَطّابُ : « كَلَّا لَنْ تَموتَ ، أَيُّها الطّائِرُ الظَّريفُ . وسَتَجِدُ فى قُرْبِ مَوْقِدِنا دِفْئَكَ ومَأْواكَ ، حَيْثُ يَغْمُرُكَ حُبُّنا ، ويُغَذّيكَ فُتاتُ مائِدَتِنا . ومَتَى جاءَ الرَّبيعُ : فَصْلُ الْأَزْهارِ ، واعْتَدَلَ الْجَوُّ ، بَنَيْتَ — إنْ شِئْتَ — عُشًّا لِأَفْراخِكَ ، بَيْنَ الْأَوْراقِ ، مِنَ الْحَشائِشِ الصَّغيرَةِ . » فقالَ الطّائِرُ الْأَحْمَرُ : « شُكْراً لَكَ ، ما أَكْرَمَكَ ! » ثُمَّ طارَ واسْتَقَرَّ عَلَى الصِّوانِ : أَعْنِى (الدُّولابَ) الْقَديمَ الْمُحَطَّمَ .

٩ — حَديثُ الضِّفْدِعِ

وخَرَجَتْ مِنْ ثَقْبٍ ثالِثٍ ضِفْدِعٌ غَضْبَى مُنْتَفِخَةٌ غَيْظًا ، وجَلَسَتْ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْمَوْقِدِ . وكانَ حَجْمُها أَكْبَرَ مِنْ قَبْضَتَيِ الْيَدَيْنِ مُجْتَمِعَتَيْنِ . وقَدِ انْفَتَحَ

فَمُها الطَّوِيلُ ، وتَدَلَّى لِسانُها مِنْهُ ، وبَرَزَتْ – مِنْ رَأْسِها – عَيْنانِ صَفْراوانِ نَجْلاوانِ ، أَعْنِي : واسِعَتَيْنِ . وتَراجَعَ الْأَطْفالُ مَذْهُوشِينَ حِينَ رَأَوْها ، واسْتَمَعُوا إِلَيْها وهِيَ تَقُولُ ، بِصَوْتٍ كالرَّعْدِ : « تَبًّا لَكُمْ مِنْ قُساةٍ ! كَيْفَ تَجْرُءُونَ عَلَى تَخْرِيبِ بَيْتِي وإِحْراقِ مَسْكَنِي ، بَعْدَ أَنْ عِشْتُ فِيهِ مِائَتَيْ عامٍ كامِلَةً ، لَمْ أُسِئْ فى خِلالِها إِلَى أَحَدٍ ؟ » فَهَوَّنَ عَلَيْها الْحَطَّابُ الشُّجاعُ قائِلًا : « هَدِّئِي مِنْ رَوْعِكِ ، أَيَّتُها الضِّفْدِعُ الْكَرِيمَةُ ، وأَيْقِنِي أَنَّنا لَمْ نُفَكِّرْ – لَحْظَةً – فى إِلْحاقِ الْأَذَى بِكِ ولا بِغَيْرِكِ . ولَنْ تَبْقَيْ بِغَيْرِ سَكَنٍ . فَهاكِ ثَقْبًا عَمِيقًا تَحْتَ الْمَوْقِدِ ، فاتَّخِذِيهِ – إِنْ شِئْتِ – سَكَنًا هادِئًا لَكِ . وفِيهِ ما يَكْفِيكِ مِنْ قَرارٍ ودِفْءٍ . وسَنُعْطِيكِ – كُلَّ يَوْمٍ – ما يُغَذِّيكِ مِنَ الْكَسْتَنا والْخُضَرِ الْمَسْلُوقَةِ . ولَوْ كُنَّا أَحْسَنَ حالًا لَقَدَّمْنا لَكِ كُلَّ ما تَشْتَهِينَ » فَقالَتِ الضِّفْدِعُ : « يالَكَ مِنْ كَرِيمٍ ! فَشُكْرًا لَكَ ، فَأَنْتَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ فى الْعالَمِ شُرَفاءَ أَخْيارًا . وإِنِّي لَيُسْعِدُنِي أَنْ أَكُونَ ضَيْفَكَ . »

ثُمَّ قَفَزَتِ الضِّفْدِعُ مُتَباطِئَةً حَتَّى دَخَلَتِ الْجُحْرَ .

١٠ – حَدِيثُ الْحَطَّابِ

وبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجَ الْحَطَّابُ وزَوْجُهُ وأَوْلادُهُما بَعْدَ أَنِ اسْتَأْذَنُوا ضُيُوفَهُمْ . وجَعَلُوا يَتَحَدَّثُونَ – فى أَثْناءِ تَجْوالِهِمْ – عَمَّا رَأَوْهُ فى لَيْلَتِهِمْ مِنَ الْعَجَبِ . فَقالَ الْوالِدُ لِأَبْنائِهِ : « ها أَنْتُمْ أُولاءِ تَرَوْنَ أَنَّ الإِنْسانَ يَسْتَطِيعُ – عَلَى فَقْرِهِ – أَنْ يَعِيشَ سَعِيدًا . كَما تَرَوْنَ أَنَّهُ قادِرٌ – مَهْما يَبْلُغْ بِهِ الْفَقْرُ – عَلَى أَنْ يُسْدِيَ الْمَعْرُوفَ لِمَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ قُوَّةً ، وأَتْعَسُ حالًا . فإذا

أَرَدْتُمُ السَّعادَةَ الْحَقَّ ، فَلا تَتَرَدَّدُوا فى إسْعادِ مَنْ تَسْتَطِيعُونَ إسْعادَهُ . ولَن يَكْمُلَ الإنْسانُ إلَّا إذا جَمَعَ بَيْنَ حُسْنِ النِّيَّةِ وحُسْنِ الْعَمَلِ » .

١١ – الْقَصْرُ الْجَدِيدُ

وعادُوا إلَى كُوخِهِمْ ، وقَدِ امْتَلأَتْ نُفُوسُهُمْ فَرَحاً وإيناساً ، وثِقَة واطْمِئْناناً ، بِما نَعِمُوا بِهِ مِنْ مَناظِرَ فاتِنَةٍ ، تَحْتَ الْقُبَّةِ الزَّرْقاءِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِيها النُّجُومُ الْبَدِيعَةُ . وكانَ الْجُوعُ قَدِ اشْتَدَّ بِهِمْ ، فَأَسْرَعُوا إلَى تَناوُلِ ماأَعَدُّوهُ فى دارِهِمْ ، مِنْ خُبْزٍ يابِسٍ ، وحَساءٍ قَلِيلٍ . ولٰكِنَّهُمْ شَدَّما دَهِشُوا إذْ رَأَوْا نُوراً يَظْهَرُ لِأَعْيُنِهِمْ - فَجْأَةً - مِنْ بَعِيدٍ . وقَدْ خُيِّلَ إلَيْهِمْ أَنَّهُ يَنْبَعِثُ مِنْ دارِهِمْ . ولٰكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُوا أَعْيُنَهُمْ . فَلَمّا اقْتَرَبُوا رَأَوْا أَضْواءً لاعَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِها ، ورَأَوْا - مَكانَ الْكُوخِ - قَصْراً فاخِراً مَكْتُوباً عَلَيْهِ : قَصْرُ « السَّعِيدِ حَسَنِ الْحَطّابِ » وكادُوا يَحْسَبُونَ - لَوْلا هٰذا اللَّوْحُ الْمَكْتُوبُ - أَنَّهُمْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فَدَخَلُوا قَصْرَ الْأَمِيرِ . عَلَى



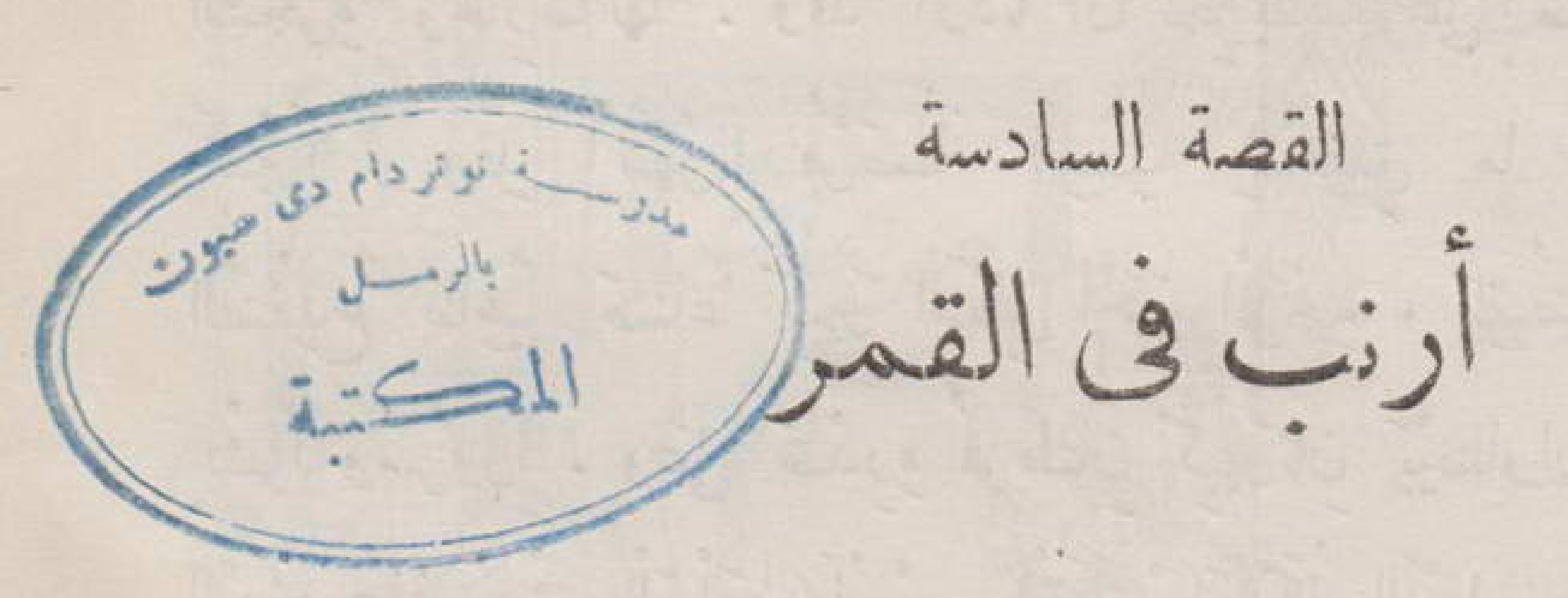
أَنْ قصرَ أَميرِهِمْ لَيس عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ الْفخامةِ والرَّوْعَةِ ، ولَيس فِيهِ مِثْلُ هٰذا الْأَثاثِ الْبَديعِ . ورأَوْا مائِدَةً كَبيرَةً حافِلَةً بِالصِّحافِ والْأَطْباقِ ، وإِلَى جانِبِها كَراسِيُّ مِنَ الْمُخْمَلِ (الْحَرِيرِ) الْأَحْمَرِ ، مُزَرْكَشَةٌ بِالذَّهَبِ . وقَدْ غَصَّتِ الْمائِدَةُ بِأَجْمَلِ الْأَزْهارِ والْوُرُودِ . وإِلَيْكَ بَعْضَ ماحَوَتْهُ : فَهٰذا دِيكٌ رُومِيٌّ كَبيرٌ مَقْلِيٌّ بِالسَّمْنِ ، وإِلَى جانِبِهِ لَذائِذُ مِنَ الشِّواءِ يَتَطايَرُ قُتارُها الشَّهِيُّ (رائِحَتُها اللَّذِيذَةُ) وعَلَى مَسافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْها كُومَةٌ مِنْ شَمْعِ الشَّهْدِ (عَسَلِ النَّحْلِ) ، فى مِثْلِ صُفْرَةِ الذَّهَبِ الْخالِصِ . وإِلَى الْيَسارِ جَمِيعُ أَصْنافِ الْفَواكِهِ مِنْ تُفّاحٍ وكُمَّثْرَى وبُرْتُقالٍ وعِنَبٍ . وثَمَّةَ أَدْرَكُوا أَنَّ الطّائِرَ والنَّحْلَةَ والضِّفْدِعَ إِنَّما قَصَدُوا إِلَى مُكافَأَتِهِمْ عَلَى مَعْرُوفِهِمْ ، فَأَعَدُّوا لَهُمْ هٰذِهِ الْمُفاجَأَةَ السّارَّةَ . والْتَفَتَتْ إِلَيْهِمُ الضِّفْدِعُ قائِلَةً : « نَحْنُ جِنِّيّاتُ الشَّجَرَةِ وحارِساتُها . وقَدْ أَرَدْنا أَنْ نَجْزِيَكُمْ عَلَى صَبْرِكُمْ ومَعْرُوفِكُمْ خَيْرًا . وقَدِ انْتَهَزْنا فُرْصَةَ الْعِيدِ لِتَحْقِيقِ ما أَرَدْنا » فَتَحَوَّلَتِ الضِّفْدِعُ طاهِيًا صَناعًا كَبِيرَ الْبَطْنِ أَحْمَرَ الْوَجْهِ ، يَفِيضُ مُحَيّاهُ (وَجْهُهُ) بِشْرًا وسُرُورًا . وعَلَى صَدْرِهِ فُوطَتانِ كَبِيرَتانِ بَيْضاوانِ . وقَدِ افْتَنَّتِ الضِّفْدِعُ فى صُنْعِ الْحَلْوَى لَهُمْ . وأَقْبَلَتْ مَلِكَةُ النَّحْلِ ساهِرَةً عَلَى خِدْمَتِهِمْ فى صُورَةِ فَتاةٍ رائِعَةِ الْحُسْنِ ، عَلَى رَأْسِها خِمارٌ (سِتارٌ) حَرِيرِيٌّ مُزَرْكَشٌ بِالذَّهَبِ . وظَهَرَ الطّائِرُ فى هَيْئَةِ مُوسِيقِيٍّ بارِعٍ ، وقَدِ ارْتَدَى سِرْوالًا قَصِيرًا مِنَ الْمُخْمَلِ الْأَخْضَرِ ، ولَبِسَ قَلَنْسُوَةً زَرْقاءَ مُحَلّاةً بِرِيشِ النَّعامِ . وراحَ يَضْرِبُ عَلَى الْعُودِ ، ويُغَنِّى أَطْيَبَ الْأَلْحانِ . ولَمّا طَلَعَ الصُّبْحُ ، رَأَوْا حَدِيقَةً غَنّاءَ تُحِيطُ بِقَصْرِهِمُ الْعَظِيمِ ، ورَأَوْا خِزانَةً كَبِيرَةً مَمْلُوءَةً بِأَثْمَنِ الْيَواقِيتِ

وأنفسِ اللآلِئِ التي لا توجَدُ في خزائنِ المُلوكِ . وأطلقَ النّاسُ على الحطّابِ مُنذُ ذلكَ اليومِ : لقبَ « الحطّابِ السعيدِ » ، بعدَ أنْ كانُوا يُطلِقون عليه لقبَ « الحطّابِ الفقيرِ » .

١٢ — خاتمةُ القصّة

ولمّا انتهتِ الجدّةُ مِنْ قصّتِها ، التفتتْ إلينا قائلةً :

« هكذا ترونَ - أيُّها النُّجباءُ - أنّ في قُدرةِ أفقرِ إنسانٍ أنْ يُحسِنَ إلى مَنْ هوَ أضعفُ مِنْهُ وأشدُّ فقراً . وأنّ فعلَ الخيرِ لَنْ يَضيعَ أبداً ، وأنّ السعيدَ الحقَّ ليسَ هوَ الغنيّ الواسعَ الثراءِ ، الكثيرَ المالِ . بلْ هوَ مَنْ يرتاحُ إلى الإحسانِ والبرِّ ، وتبتهجُ نفسُهُ بعملِ الخيرِ وصُنعِ الجميلِ . »



القصة السادسة

أرنب في القمر

كُتُب الكيلاني

« ... وإنّي لأرجو أنْ يأتيَ اليومُ الّذي تصير فيه اللُّغةُ العربية سليقةً عِندَ متعلّمينا . فإذا قُيِّضَ لها ذلك ، كان الفضلُ راجعاً - في مُعظَمِه - إلى كُتُبِ الأستاذِ الكيلاني ... [1] »

(١) من كلمة لسعادة على مصطفى مشرفة باشا وكيل جامعة فؤاد الأول .

مكتبة الكيلانى للشباب

عن دار إحياء الكتب العربية

	قرش
١ - ملوك الطوائف	٢٠
٢ - نظرات فى تاريخ الاسلام للعلامة دوزى	٢٠
روائع من قصص الغرب	٢٠
صياد الخيال وقصص أخرى	٢٠

عن دار الكتب الأهلية

صور من الأدب العربى	٢٠

عن مكتبة السيد مصطفى الحلبى

ديوان ابن زيدون	٦٠

شرح كامل كيلانى وعبدالرحمن خليفة

عن الجمعية المصرية لهواة الموسيقى

عشر أغان مختارة مع تدوينها الموسيقى	٥٠

نظم الكيلانى ومشرفة باشا

عن مكتبة الوفد

مصارع الخلفاء	١٠

	قرش
مختار القصص	١٠

عن مكتبة سعد مصر

فن الكتابة - أو : كيف تدرس

فن الانشاء (نقد)	٥

عن دار المعارف

أساطير ألف يوم (نقد)	١٥

عن المكتبة التجارية

ديوان ابن الرومى	٦٠
نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى	٤٠
مصارع الأعيان (نقد)	١٠
ذكريات الأقطار الشقيقة	١٠
مختارات كامل كيلانى	١٠
موازين النقد الأدبى	٥

المكتبة العلائية

عن دار المعارف

رسالة الغفران (نقد)	١٥٠

	قرش
رسالة الغفران	٣٠

(ترجمة إنجليزية أخرجها الكيلانى وبرا كنبرى)

على هامش الغفران :

١ - دواعى الرسالة ٢ - قصة الحماطة	٢٠

عن دار الكتب الأهلية

رسالة الهناء :

الجزء الأول : نصوص ودراسات الجزء الثانى : النص الكامل	٢٥

(عن لجنة النشر للجامعيين)

حديقة أبى العلاء :

الجزء الأول : مصرع الفنان	١٥

ظهر حديثاً

عن دار المعارف . بالفجالة بالقاهرة

	قرش		قرش
قصص فكاهية : حِذاء الطُّنبورى	٨	بنت الصباغ	١٠

عن مكتبة عيسى البابى الحلبى بالحسين بالقاهرة ، ودار مكتبة الأطفال بشارع حسن الأكبر بالقاهرة ومكتبة الطاهر إخوان بيافا

جحا قال

	قرش		قرش
وَزَّة السلطان	٥	سارق الحمار	١٠
سوق الشطار	٥	برميل العسل	١٢

عجائب القصص

	قرش		قرش		قرش
شجرة الحياة	٨	السنجاب الصغير	١٠	غزلان الغابة	١٠
السعيد حسن	٣	الأميرة وردة	١٠	أرنب فى القمر	٣

قالت شهر زاد

	قرش		قرش		قرش
بنت الوزير	٣	أمير العفاريت	٣	قاهر الجبابرة	٣

مكتبة الكيلانى للأطفال

٣٢ شارع حسن الأكبر بالقاهرة (تليفون ٥٠٨١٨)

عن المطبعة العصرية

حكايات للأطفال

	م
الدجاجة الصغيرة الحمراء	١٥
أم الشعر الذهبى	١٥
بدر البدور	١٥
العلبة المسحورة	١٥
قصص جغرافية	
لفنجستون	١٥
لفنجستون وستانلى	١٥
مكتبة الجيب	
الجواد الطيار	٥
بساط الريح	٥

عن دار المعارف

قصص فكاهية	
عمارة – الأرنب الذكى	
عفاريت اللصوص – نعمان	
العرندس – أبو الحسن	
(ثمن القصة)	٥
حذاء الطنبورى	٨
بنت الصباغ	١٠
قصص من ألف ليلة	
بابا عبدالله والدرويش	٥
أبو صير وأبو قير	٥
على بابا	٥
عبدالله البرى وعبدالله البحرى	٥
الملك عجيب	٥
خسرو شاه	٥
السندباد البحرى	١٥
علاء الدين	١٥
تاجر بغداد	١٥

قصص عربية	م
حى بن يقظان	١٠
ابن جبير فى مصر والسودان	١٥
قصص علمية	
أصدقاء الربيع	٥
زهرة البرسيم	٧
فى الإسطبل	١٥
جبارة الغابة	٧
أسرة السناجب	٧
أم سند وأم هند	٧
الصديقتان	٧
أم مازن	١٠
النحلة العاملة	١٠
العنكب الحزين	١٠
قصص هندية	
الشيخ الهندى	٤
الوزير السجين	٤
الأميرة القاسية	٤
خاتم الذكرى	٤
شبكة الموت	٤
فى غابة الشياطين	٧
صراع الأخوين	٧
قصص شكسبير	
العاصفة	٧
تاجر البندقية	٧
يوليوس قيصر	٧
الملك لير	٧
أساطير العالم	
فى بلاد العجائب	٥
الملك ميداس	٥
القصر الهندى	٥

	م
قصاص الأثر	٥
بطل أثينا	٥
الفيل الأبيض	٥
أشهر القصص	
روبنسن كروزو	١٥
رحلات جلفر	
١ – فى بلاد الأقزام ٢ – فى بلاد العمالقة	٢٥
٣ – الجزيرة الطيارة ٤ – الجياد الناطقة	٢٥
قصص تمثيلية	
الملك النجار	٥

عن دار مكتبة الأطفال

جحا قال :	
وزة السلطان	٥
سوق الشطار	٥

عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ومكتبة الطاهر إخوان بيافا

سارق الحمار	١٠
برميل العسل	١٢
عجائب القصص	
شجرة الحياة	٨
غزلان الغابة	١٠
الأميرة وردة	٨
السنجاب الصغير	١٠

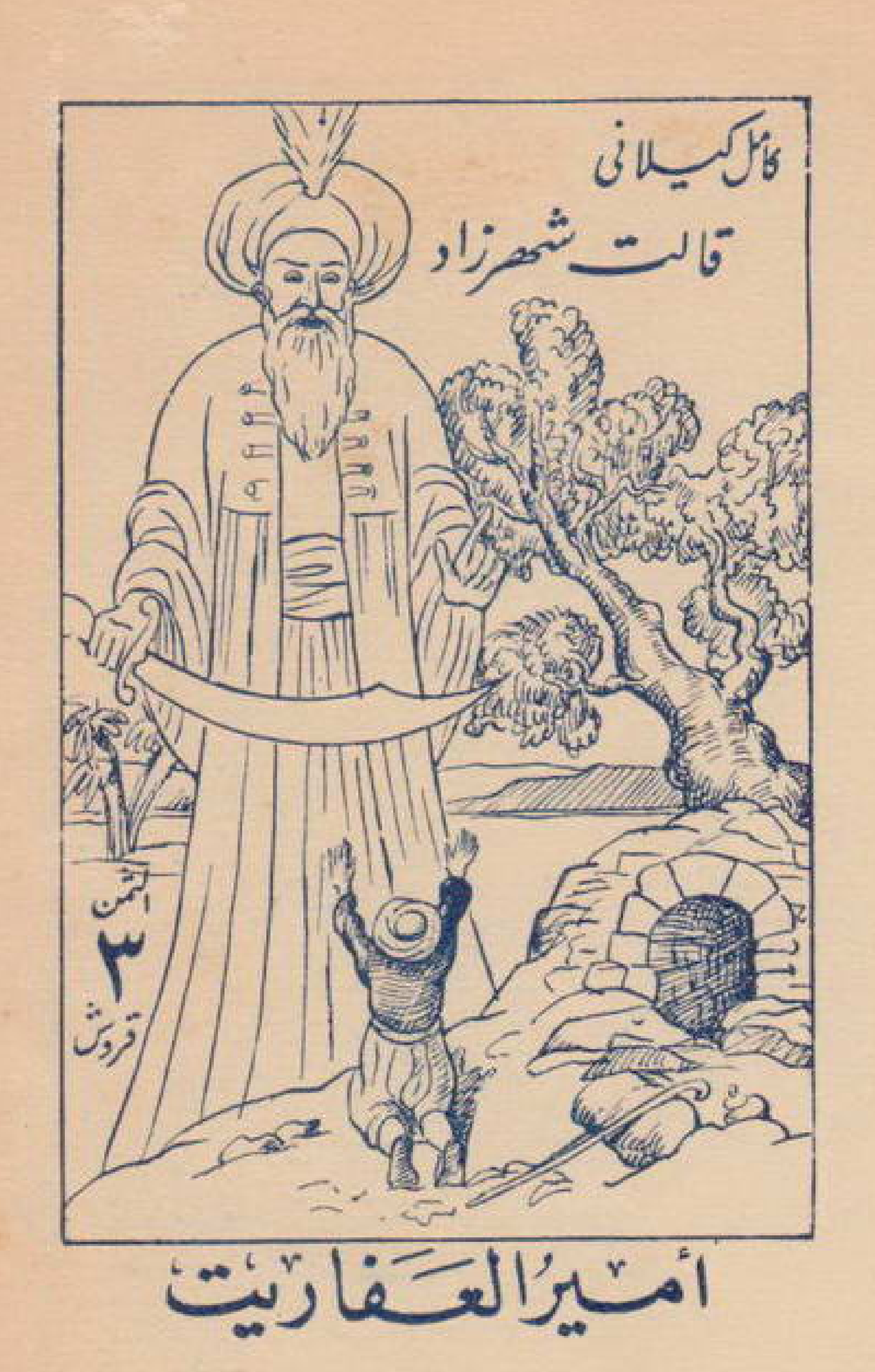
عن دار مكتبة الأطفال

السعيد حسن	٣
أرنب فى القمر	٣
قالت شهر زاد :	
بنت الوزير	٣
قاهر الجبابرة	٣
أمير العفاريت	٣

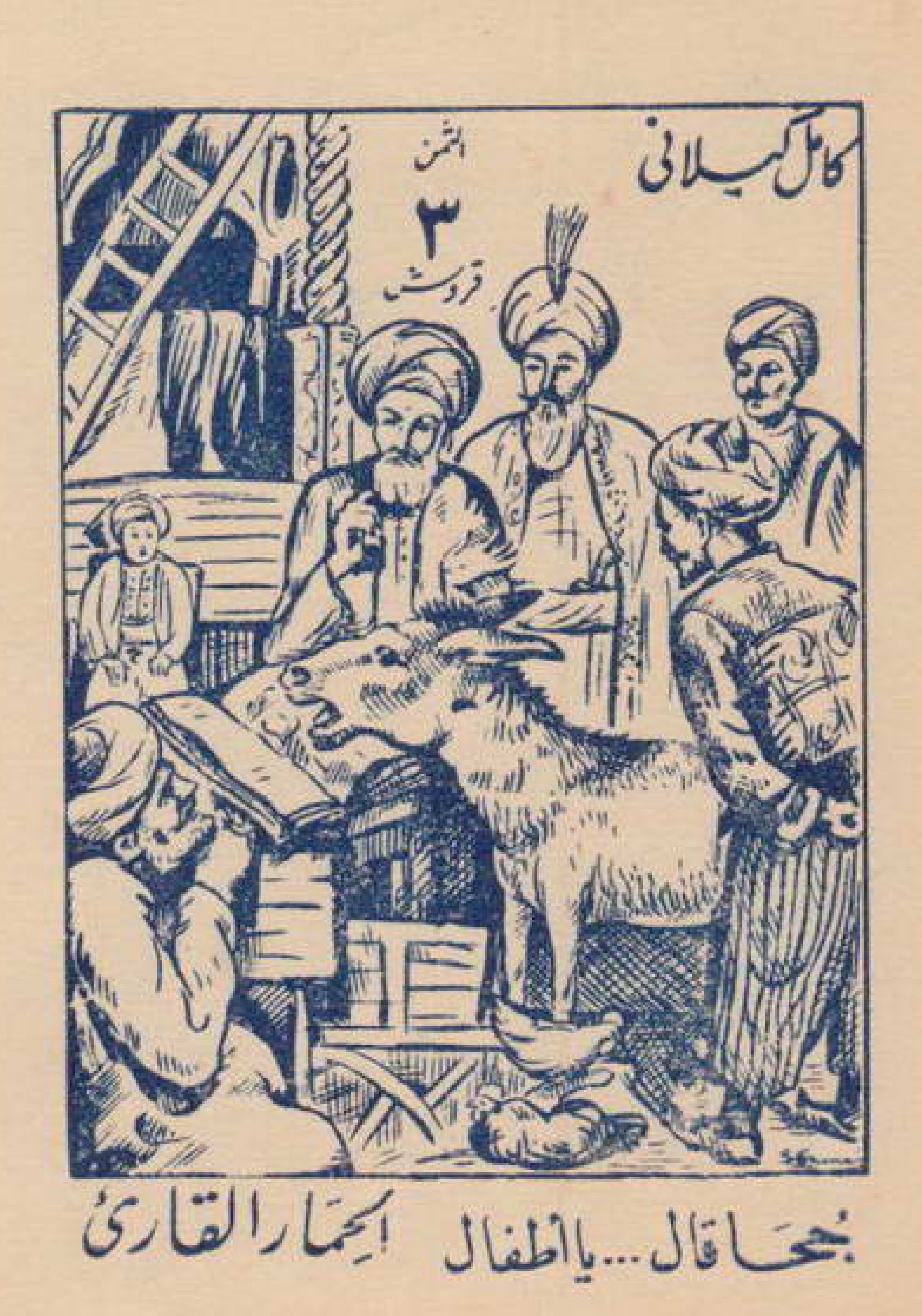
يظهر قريباً

جحا فى بلاد الجن
الأكذوبة
فاتح الكنعام
مفتاح السعادة
الحمار القارى
سر البومة
الأستاذ نصر الدين

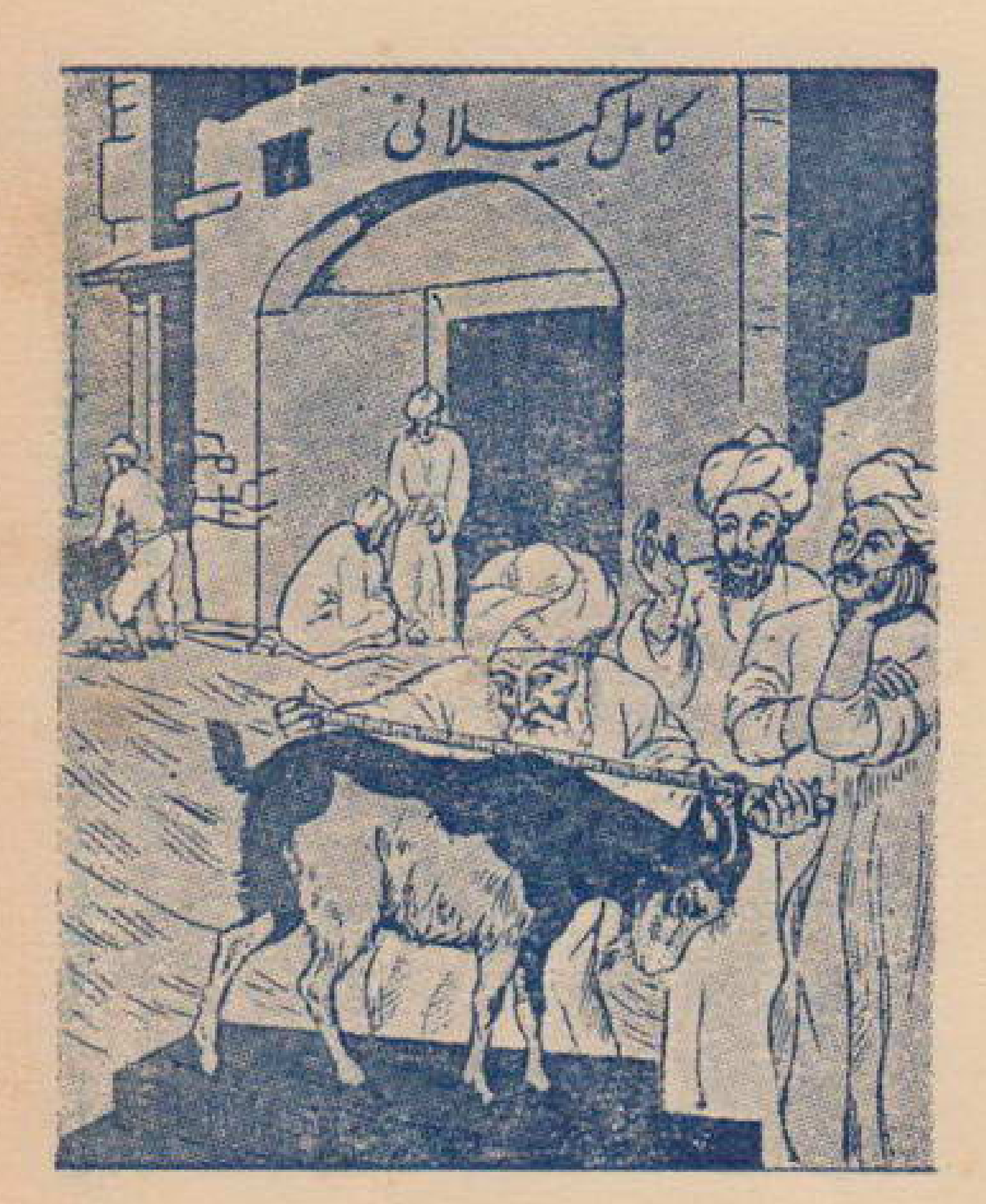


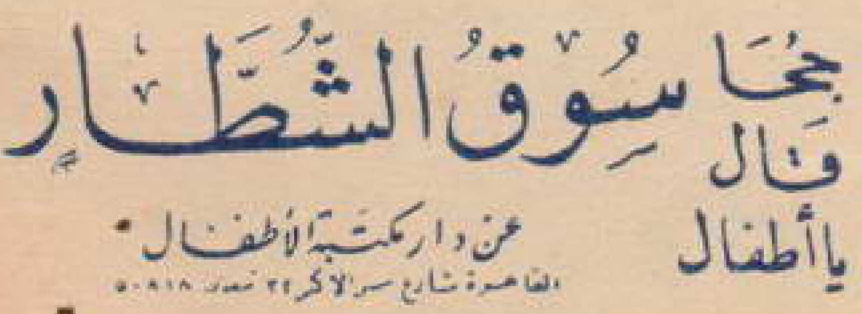


أمير العفاريت



جحا قال... يا أطفال الحمار القارئ




جحا قال يا أطفال سوق الشطار

عن دار مكتبة الأطفال
القاهرة شارع سر الأكبر ٣٢ تليفون ٥٠٨١٨

كامل كيلانى

عجائب القصص للأطفال



السعيد حسن

عن دار مكتبة الأطفال
القاهرة شارع حسن الأكبر ٣٢ تليفون ٥٠٨١٨

الثمن : ٣ م

كامل كيلانى

عجائب القصص للأطفال

القصة الخامسة

السعيد حسن

الطبعة الأولى

١٣٥٦ هـ - ١٩٤٧ م

عن دار مكتبة الأطفال
القاهرة شارع حسن الأكبر ٣٢ تليفون ٥٠٨١٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة